الشرقُ والغَرْبُ والسلامُ المنشُودُ

أحمد الطَّيِّب(*)

إنَّه لشَرَفٌ كبيرٌ أن أُشارِكَ في لِقاءِ «حُكَمَاء الشرقِ والغَربِ» بمدينةِ «فلورنسا»، في هذا اللقاءِ الذي لا أشُكُّ في أنه سيَكونُ لقاءً تاريخيًّا مَشهودًا، رُبَّما يَتوقَّفُ عنده تاريخُ الإنسانيَّةِ يومًا ما؛ ليكتُبَه بأحرُفٍ مِن نُورٍ، ويُسجِّلَه في أنْصَعِ الصَّفَحاتِ، وما ذلكَ على اللهِ ببعيدٍ.

إنَّ هذا العملَ الذي نَشهَدُ اليومَ أولى حَلَقاتِه، ولا نَدري شيئًا عن بقيَّةِ مَراحِلِه، كان فكرةً مُجرَّدةً في عالمِ الأحلامِ والأماني، وذلك حِينَ زارني في مَنزلي، بحيِّ مِصرَ الجديدةِ بالقاهرةِ، أصدقاؤنا القُدامَى: الأبُ فيتوريو يناري، والأستاذةُ باولا بيتزو، والسيدُ أندريا ترنتيني، مُنذُ عامٍ أو أكثرَ، ودارَ الحديثُ حولَ موضوعِ «حِوارِ الأديانِ والحضاراتِ»، ومَدَى تأثيرِه في العَلاقةِ بينَ الشرقِ والغربِ، وهل آتى ثِمارَه المرجُوَّةَ في التقريبِ بينَ الحضاراتِ، أو تخفيفِ التوتُّرِ والاحتقانِ في عَلاقةِ كلٍّ منهما بالآخَرِ، بعد أن آلَتْ هذه العَلاقةُ في الآونةِ الأخِيرةِ -وبكلِّ أسَفٍ- إلى عَلاقةِ صِراعٍ مُخيفٍ؟!

وقد كان رأيي الذي كوَّنْتُه عبرَ إسهاماتٍ عِدَّةٍ، في حِواراتِ الأديانِ والحَضاراتِ في آسيا وأوروبا وأمريكا، أنَّ هذه المُحاوَراتِ لم تستطِعْ -حتى الآن- تحديدَ قضايا النِّزاعِ المُعلَنِ -والصامِتِ أيضًا- بينَ العالَمينِ: العربيِّ والإسلاميِّ وبينَ الغربِ، ومِن ثَمَّ لَمْ تُفلِحْ في صِياغةِ رؤيةٍ مُستقبَليَّةٍ للخُروجِ مِن هذه الأزمةِ العالميَّةِ، التي إن تُرِكَتْ تتدحرجُ مِثلَ كُرةِ الثلجِ؛ فإنَّ البشريَّةَ كلَّها سوفَ تَدفَعُ ثَمَنَها: خَرابًا ودَمارًا وتخلُّفًا وسَفْكًا للدِّماءِ؛ ورُبَّما بأكثرَ مما دفعَتْه في الحربَيْنِ العالميَّتينِ في النصفِ الأولِ مِن القَرْنِ الماضي، ضَرُورةَ التطوُّرِ الذي لا يَتوقَّفُ في تِقنيَّاتِ الأسلحةِ المدمِّرةِ، وتغوُّلِ السياساتِ العسكريَّةِ وتسارُعِها، والجهودِ الغربيَّةِ التي لا تَكِلُّ ولا تَملُّ في أن يَكونَ لها تواجُدٌ عسكريٌّ مُسلَّحٌ في مُعظَمِ بُلدانِ الشرقِ.

وهكذا، ومِن بينِ رُكامِ الإحباطِ، وضَبابِ الأَسَى على عالَمِنا الذي يَقِفُ على حافَةِ الانهيارِ الحضاريِّ، لمَعَتْ فِكرةُ لِقاءٍ يَجمَعُ بينَ نُخبةٍ محدودةٍ مِن الغربِ، ومِثلِها مِن الشرقِ، يَتدارَسُون أمرًا بالِغَ الصُّعوبةِ، شديدَ التعقيدِ، لعلَّهم يَجِدُون له مَخرَجًا، أو -على أقلِّ تقديرٍ- لعلَّهم يَغرِسُون -في طريقِ حَلِّه- «نَواةً» لشَجَرةِ سَلامٍ، قد تُثمِرُ يومًا ما مِن الأيامِ.

ثم شَجَّعَني على مُواصَلةِ التفكيرِ الجادِّ في هذا الأمرِ ما لَمَسْتُه مِن مجلسِ حُكَمَاء المسلمينَ، الذي أنتمي إليه(*)، مِن حِرصٍ وتصميمٍ على إطفاءِ نارِ الحُروبِ -أينما اشتَعَلَ أُوارُها- مِن خِلالِ قوافِلَ لنَشرِ السلامِ، تَجُوبُ العالَمَ مِن أجلِ هذا الهَدَفِ المُقدَّسِ.

كنتُ أظنُّ أنَّ مِن السَّهْلِ أن يُدرِكَ أيُّ باحِثٍ ماذا يَعني الشرقُ، وماذا يَعني الغربُ، وأن يُحدِّدَ ما بينهما مِن فُروقٍ تُميِّزُ بينَ المفهومَيْنِ تمييزًا تامًّا، وتُزيلُ ما بينَهما مِن إبهامٍ وغُمُوضٍ، ولكن خابَ الظَّنُّ مَعَ أوَّلِ مُحاوَلةٍ للاهتداءِ إلى هذا المعنى المُحَدَّدِ، أو إلى تعريفٍ جامعٍ مانعٍ -كما يقولُ علماءُ المنطِقِ- لهذَيْنِ الكِيانَيْنِ المتباعدَيْنِ جُغرافيًّا، والمتداخِلَيْنِ تاريخيًّا وحَضاريًّا.

فإذا بدَأْنا بتعريفِ «الغربِ» فإنَّه سُرعانَ ما تَقفِزُ أمامَ الذِّهنِ سِلسلةٌ مِن تجاذُباتٍ وتناقُضاتٍ، لا يَخْلُصُ معها «الغربُ» كِيانًا أوروبيًّا خالِصًا في مُقابِلِ «الشرقِ»، فلا يَكفي -مثلًا- أنْ نُعرِّفَ «الغربَ» بخصائصَ دينيةٍ وعِرْقيةٍ، كأن نَقولَ: «الغربُ هو هذه الشعوبُ الأوروبيَّةُ التي تَدِينُ بالمسيحيَّةِ»؛ لأنَّ هذا التعريفَ سُرعانَ ما يَضطرِبُ ويَتفكَّكُ، حِينَ نأخُذُ في الاعتبارِ أن الملايينَ مِنَ المُسلمينَ الذين هاجَروا إلى أوروبا وأمريكا أصبَحوا خُيُوطًا بارزةً في النسيجِ الاجتماعيِّ للغربِ، وأنَّ هذه المَلايينَ تركَتْ بَصَماتِها قويةً في شتَّى مَجالاتِ الحياةِ الغربيَّةِ، مِن عاداتٍ وتقاليدَ وفُنونٍ وسُلوكٍ أيضًا.

أضِفْ إلى ذلكَ أنَّ هذا التأثُّرَ والتأثيرَ ليس وليدَ عَصْرِنا الحاضرِ هذا؛ بل هو تأثيرٌ وتأثُّرٌ قديمانِ، نعلَمُهُما مِن تاريخِ الحضارتَيْنِ: الشرقيَّةِ والغربيَّةِ، ومِن تاريخِ المراكزِ الحضاريَّةِ في أوروبا، التي سَطَعَتْ عليها شمسُ العَرَبِ قديمًا واستضاءَتْ بها، ونَقَلَتْها إلى كلِّ الشعوبِ الأوروبيَّةِ، ولعَلَّ مَدينةَ «فلورنسا» ذاتَ التاريخِ العريقِ في الحضارةِ والدِّينِ والثقافةِ والفنِّ، والتي تستضيفُنا اليومَ، ونتطارَحُ في فضائِها وعلى أرضِها هذه الذِّكريَاتِ، كانت مِن أهمِّ مراكزِ التواصُلِ في ذلكُم الحينِ.

وهكذا لا نَدْري ماذا يَعني الغربُ بالنسبةِ للشرقِ؟ هل هو المسيحيَّةُ؟ أو العَلمانيَّةُ؟ أو الإلحادُ؟ هل هو القوةُ العَسكريَّةُ والاقتصاديَّةُ؟ هل هو التنويرُ وحُقوقُ الإنسانِ؟ أو هو الفاشِيةُ والعُنصريَّةُ؟!

هل هو الفنُّ والثقافةُ؟ وأحْدَثُ المُوضاتِ وبُيوتُ الأزياءِ؟ أو هو الإنتاجُ والاستهلاكُ؟ أو هو العِلْمُ والتكنولوجيا ومَصانعُ أسلحةِ الدَّمارِ!!

ومَهما دَقَّقْنا النظرَ وواصَلْنا البحثَ والتحليلَ في خصائصِ «الغربِ» الذاتيَّةِ؛ فإنَّنا لن نَظفَرَ إلا بمُرَكَّبٍ مُعَقَّدٍ، شديدِ التناقُضِ والتضارُبِ(*).

وشيءٌ غيرُ قليلٍ مما قيلَ في تحديدِ مفهومِ «الغَرْبِ» يُقالُ مِثْلُه في تعريفِ «الشرْقِ»، وتحديدِ مفهومهِ تحديدًا دقيقًا واضحَ الملامحِ والقَسَماتِ، ذلكم أنَّ تأثيرَ الحضارةِ الغربيَّةِ في الحضارةِ الشَّرقيَّةِ أو الإسلاميَّةِ مِن الوضوحِ بحيثُ لا تُخطِئُه عينُ باحثٍ أو مُتبصِّرٍ، وقد وَصَلَتْ قوَّةُ التأثيرِ الغربيِّ إلى درجةِ «الغَزْوِ» والاكتساحِ لأكثرِ الدُّولِ الإسلاميَّةِ، ثُمَّ إنَّ العَالَمَ الإسلاميَّ لا يُمثِّلُ امتدادًا جُغرافيًّا مُوَحَّدًا، كما أنَّ الرَّابطةَ «القوميَّةَ» بينَ دُوَلِه كثيرًا ما تكونُ أقوى مِن رابطةِ «الدِّينِ»؛ فالعِراقُ وإيرانُ بَلَدانِ مُسْلمانِ، لَكِنَّهما تَقاتَلا سنواتٍ عِدَّةً على أساسٍ مِنِ اختلافِ القوميَّاتِ والمصالحِ ,ولَمْ تَنهَضْ رابطةُ الدِّينِ أن تُكَفْكِفَ شيئًا -ولو قليلًا -مِن شَراسةِ الحربِ بينهما.

كما لَمْ تُثْمِرِ الدَّعَواتُ التي تُنادي بتكوينِ «أُمَّةٍ إسلاميَّةٍ» مُوحَّدةٍ بجديدٍ يُضافُ إلى رصيدِ وَحدةِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ وتَضامُنِها، ممَّا حَدَا بالبعضِ إلى القولِ بأنَّه لا يُوجَدُ كِيانٌ اسمُه العَالَمُ الإسلاميُّ «يُمكِنُ اعتبارُه خَطَرًا يُهدِّدُ الغَرْبَ الذي يَمتلِكُ قُوةً أكبرَ وأَشرَسَ وأعنفَ»(*).

وَمِن وِجهَةِ نَظَري المُغْرِقةِ في التجريدِ، والتفاؤلِ أيضًا، أنَّ هذه العناصرَ المُتداخِلةَ بينَ الشَّرقِ والغَرْبِ، والتي تتمثَّلُ في تبادُلِ العَناصِرِ العِلميَّةِ والثقافيَّةِ والفَنيَّةِ بينَ الحضارتَيْنِ، رُبَّما تُشَكِّلُ أرضيَّةً مُشترَكةً تُساعِدُ في بِناءِ تَقارُبٍ حَضاريٍّ يَقومُ على التكامُلِ وتبادُلِ المَنافعِ، وترسيخِ مَبادِئِ الديمقراطيَّةِ والحريَّةِ وحَقِّ الإنسانِ الشرقيِّ -مِثْلَ أخيه الغربيِّ- في حياةٍ آمِنةٍ كريمةٍ، مع أمَلٍ كبيرٍ في أن تتوقَّفَ الدولُ القادرةُ الغنيَّةُ عن الاستبدادِ والتحيُّزِ والكَيْلِ بمِكيالَيْنِ: مِكيالٌ للغربِ وآخَرُ للشرقِ، وأن تتوقَّفَ سياساتُها التسلُّطيَّةُ على الضعفاءِ والمستضعَفينَ، هذه السياساتُ التي يَبدُو أنها أجمعَتْ أمرَها على تقسيمِ العالَمِ إلى فُسطاطَيْنِ :فُسطاطٌ للغِنَى والأمنِ والرَّفاهِيَةِ والتقدُّمِ العِلميِّ والثقافيِّ والفنِّيِّ والحضاريِّ، وفُسطاطٌ للحروبِ والدماءِ والإرهابِ والخرابِ والفقرِ والجهلِ والمرضِ.

وأَعتقدُ أنه لا خلافَ على أنَّ وَضْعَ العالَمِ الآنَ هو وَضْعٌ بالغُ السُّوءِ، وأنَّ نَظرةَ جماهيرِ المسلمينَ في الشرقِ إلى نِظامِ سِيادةِ القُوَّةِ واستخدامِها المُفرِطِ لهَدْمِ إرادةِ الشعوبِ - ليسَتْ نَظرةَ احترامٍ بكلِّ تأكيدٍ. نعم؛ قد تُعجَبُ بالقَويِّ وبقُوَّتِه، لكنَّكَ مع ذلكَ قد تَزدرِيه لغِيابِ البُعدِ الخُلُقيِّ وفقدانِ الشعورِ بالآصِرَةِ الإنسانيَّةِ والأُخوَّةِ البشريَّةِ، وهو الفارقُ بين القوَّةِ الغاشِمةِ وقُوَّةِ العَدلِ والسَّلامِ.

بل أذهَبُ إلى أبعَدَ مِن ذلكَ، وأزعُمُ أنَّ شُعورَ الكراهِيَةِ الكاسِحَ للنظامِ العالميِّ الباطِشِ ليس وَقْفًا على المسلمينَ في الشرْقِ؛ بل هو شُعورٌ مُشْتَرَكٌ بينهم وبينَ

تيارٍ عَريضٍ مِن حُكَمَاء الغربِ المُحِبِّين للعَدالَةِ والسلامِ؛ لأنَّ نَوازِعَ الأخلاقِ الإنسانيةِ فيٍ تفكيرِ أصحابِ هذا التيارِ، وفي أعماقِ شُعورِهم لا تَزالُ على فِطرتِها ومَبدئِها الإنسانيِّ الخالِصِ، ولم تتشَوَّهْ بعدُ بأخلاقِ القوَّةِ والمصلَحةِ والغَرَضِ، وفَلسفاتِ الغايةِ التي تُبرِّرُ الوسيلةَ، أيًّا كان قُبْحُ هذه الوسيلةِ وسُقوطُها في حِسابِ الفضيلةِ ومَوازينِ الأخلاقِ.

وأرجو ألَّا أجاوزَ الحقيقةَ لو قلتُ: إننا -نحنُ المسلمينَ والمسيحيِّينَ الشرقيِّينَ- لم نَعُدْ ننظرُ إلى حَضارةِ القوةِ والتسلُّطِ هذه، مِن مَنظورِ أنَّها الحضارةُ الأُنموذَجُ الأمثلُ، الذي يتطلَّعُ إليه الناسُ الآنَ، رَغْمَ صَيْحاتِ التبشيرِ التي تنطلِقُ بها حناجِرُ دُعاةِ العَوْلمةِ في كلِّ بُلدانِ العالمِ، بل هُناكَ تحفُّظاتٌ كُبرى على هذا النَّمَطِ الحضاريِّ الذي نعترفُ بأنه إنْ سَعِدَ به كثيرونَ؛ فإنَّه -بلا رَيْبٍ- شَقِيَ به الأكثرونَ مِن أصحابِ الضمائرِ السليمةِ هُنا وهُناكَ.

لكن مِنَ الإنصافِ القولُ بأنَّ جُهودًا كبيرةً تقعُ على عاتِقِ الشرقيِّين: مُسلمينَ ومَسيحيِّين، يَجِبُ أن يَقوموا بها لتعديلِ نَظرتِهم إلى الغربِ والغربيِّين؛ فهُناكَ شُعورٌ -عند الشرقيين- تُجاهَ الغربِ بالخوفِ، وعَدَمِ الأمانِ، وتوقُّعِ الشَّرِّ، وقد يَكونُ لدى الشرقيِّينَ بعضُ ما يُبرِّرُ هذا الخوفَ، لكنَّه -بكلِّ تأكيدٍ- هو خوفٌ مُبالَغٌ فيه، وكثيرًا ما تتداخَلُ حُدودُه مع حُدودِ الكراهيَةِ وحُبِّ الانتقامِ، وهُنا الكارثةُ التي لو تُرِكَتْ تمضي في هذا الطريقِ البائسِ؛ فإنها لا محالةَ تنتهي لا إلى زَوالِ الحضارةِ الإسلاميَّةِ فقط، كما تُراهِنُ عليه نظريَّةُ صِراعِ الحضاراتِ، بل إلى زوالِ الحضارتَيْنِ الإسلاميَّةِ والغربيَّةِ معًا.

ويَجِبُ على الشَّرقيِّينَ أن يَشعُروا بروابِطَ أكثرَ تقارُبًا وتآلُفًا، يتواصلون بها مع الغَرْبِ، وأن يَتوقَّفوا عن اعتبارِ الحضارةِ الغربيَّةِ حَضارةً كلُّها شَرٌّ وخُروجٌ على قِيَمِ الأديانِ والفضائلِ، وأن نَستبدِلَ بهذه النظرةِ المُفرِطةِ في السَّوادِ نَظرةً أُخرى أكثرَ تفاؤلًا، تبدو فيها الحضارةُ الغربيَّةُ حَضارةً إنسانيَّةً، إن كان فيها بعضُ المَثالِبِ والنقائصِ فهي لا شَكَّ حضارةٌ أَنقذَتِ الإنسانيَّةَ، ونقلَتْها إلى آفاقٍ عِلميَّةٍ وتِقنيَّةٍ لم تكن لتَصِلَ إليها طَوالَ تاريخِها السحيقِ، لولا عُكوفُ عُلماءِ الغَرْبِ على مَصادِرِ المعرفةِ الأدبيَّةِ والتجريبيَّةِ والفنيَّةِ، على أن الشرقَ لدَيْه ما يَسُدُّ به الغربُ ثُقوبَه الروحيَّةَ والدينيَّةَ، وما يَدفَعُ به عن حَضارتِه عوامِلَ التحلُّلِ والاندثارِ ,والغربُ لدَيْه الكثيرُ ممَّا يُقدِّمُه للشرقِ لانتشالِه مِنَ التخلُّفِ العِلميِّ والتِّقنيِّ والصِّناعيِّ وغيرِ ذلكَ.

فهَلْ مِنْ أمَلٍ فِي أن يُخفِّفَ الغَرْبُ مِن غُلَوائِه وكِبريائِه، ويَتخفَّفَ الشرقُ مِن هواجِسِه وسُوءِ ظُنونِه، ليلْتقيَ كلٌّ منهما بالآخَرِ في مُنتصَفِ الطريقِ لقاءَ

تعارُفٍ ومَودَّةٍ، وتبادُلِ خِبراتٍ ومَنافِعَ، وتعاونٍ حقيقيٍّ من أجلِ سلامٍ دائمٍ وحضارة آمنةٍ.

وهنا أُريدُ أن أَلفِتَ النظرَ إلى أمرَيْنِ لا يُمكِنُ تفادِيهما في أيِّ تلاقٍ بينَ الشرقِ والغَربِ، وعلى أيِّ مُستوًى جادٍّ مِن مُستوَياتِ هذا التلاقي:

الأمرُ الأولُ: الآيةُ القرآنيَّةُ التي يُرَدِّدُها المسلمونَ رِجالًا ونِساءً وأطفالًا، صَباحَ مَساءَ، كما يُرَدِّدُها كثيرٌ مِنَ المُثقَّفِينَ والمُفكِّرينَ الغربيِّينَ يَحفَظونَ فَحْوَاها عن ظَهْرِ قَلْبٍ مِن كثرةِ ما تردَّدَتْ على مَسامِعهم في مَحافِلِ الحِوارِ ومُنتدَيَاتِه، هذه الآيةُ هي قولُه تعالى: [ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير] [الحجرات: ١٣]. والمسلمونَ جميعًا -لا يَشُذُّ منهم أحَدٌ- يَفهَمونَ مِنَ الآيةِ أنَّ التعارُفَ يعني التعاوُنَ وتبادُلَ المنافعِ، وليس الصِّراعَ ولا الإقصاءَ ولا التسلُّطَ، وإذا كان لقاءُ التعارُفِ البَشَريِّ هو القانونَ الذي وضعَه اللهُ للعَلاقاتِ الدوليَّةِ بينَ الناسِ ,أفَلَا يعني هذا أنَّ السَّلامَ بينَ الشعوبِ أمرٌ يُمكِنُ تحقيقُه إذا ما خَلَصَت النَّوايا وصَحَّتِ العزائمُ؟!

وقد نعجبُ من أنَّ شُيوخَ الأزهرِ في أربعينيَّاتِ القَرْنِ الماضي سَبَقُوا عَصرَنا في التنبيهِ إلى هذا الحَلِّ الذي لا حَلَّ غيرُه، حيثُ نادَى الشيخُ مُحمَّد مُصطفَى المراغي (ت. ١٩٤٥م) شيخُ الأزهرِ في ذلكُمُ الوقتِ، بالزَّمالةِ العالَميَّةِ بين الأُمَمِ كافَّةً لاحتواءِ صِراعاتِ الأُمَمِ والشُّعُوبِ، وفكاكَ ذلكَ في كلمتِه أمامَ مؤتمرٍ عالميٍّ للأديانِ عُقِدَ بلندن سنة: ١٩٣٦م.

ثم جاء بَعدَه -بعَشْرِ سِنينَ- الشيخُ مُحمَّد عَرَفة الذي كَتَبَ في مجلَّةِ الأزهرِ في عامِها الثامن عشر سنةَ: ١٩٤٦م مَقالًا نادَى فيه بضَرورةِ التفاهُمِ بينَ الإسلامِ والغَرْبِ، وقد دَفَعَه لكِتابةِ هذا النداءِ ما انتهَتْ إليه الحَرْبُ العالميَّةُ الثانيةُ آنَذَاكَ مِن اختراعِ القُنبلةِ الذَّرِّيَّةِ والأسلحةِ الفتَّاكةِ، وقد حَذَّرَ هذا الشيخُ مِن فَناءِ العالَمِ كلِّه، إذا استعمَلَ المُحارِبونَ هذه المُختَرَعاتِ، وانتهى إلى أنَّه لا مَفَرَّ مِن التقريبِ بينَ الشعوبِ، ولا فكاكَ مِن إزالةِ أسبابِ الخِلافِ والبغضاءِ بينَها، بل لا بُدَّ مِن أن تُصبِحَ الأرضُ كلُّها مدينةً واحدةً، وأن يَكونَ سُكَّانُها جميعًا كأهلِ مدينةٍ واحدةٍ.

وقد عوَّل الشيخُ كثيرًا في دعوتِه لهذا التقارُبِ العالَميِّ على وُجُوبِ أن يَفهَمَ الغَربُ الإسلامَ، وأن يَفهَمَ المسلمونَ مَدَنيَّةَ الغَرْبِ، وأنهم إذا تَفاهَموا زالَ ما بينهم مِن سُوءِ ظَنٍّ، وأَمكَنَ أن يَعيشوا معًا مُتعَاونِينَ، يُؤدِّي كلٌّ منهم نصيبَه مِن خِدمةِ الإنسانيَّةِ، ودعا الشيخُ عُلماءَ المُسلمينَ إلى ضَرورةِ أن يُبيِّنوا مَدَنيَّةَ

الغَرْبِ على حقيقتِها، ليَحُلَّ التعارُفُ مَحلَّ التناكُرِ، ويَحُلَّ السلامُ محلَّ الخِصامِ(*).

أمَّا الأمرُ الثاني فهو هذا الخَطَرُ الداهِمُ الذي يَتهدَّدُنا جميعًا، وأعني به الإرهابَ والعُنفَ اللذَيْنِ يُهدِّدانِ العالَمَ، وأيضًا كلَّ ما تناسَلَ منهما مِن تنظيماتٍ وجماعاتٍ وحَرَكاتٍ مُسلَّحةٍ ترتدي -في كثيرٍ مِنَ الأحيانِ- رداءَ الأديانِ، وتُوظِّفُ كُتبَها المقدَّسةَ في الاعتداءِ على الآخَرِينَ وقَتلِهم وسَلْبِ أموالِهم وتشريدِهم مِن بلادِهم.

ولا مَفرَّ مِن التكاتُفِ لوَقفِ هذا الوَباءِ، وأنتم - حُكَمَاء الشَّرقِ والغَرْبِ- أعلَمُ الناسِ بأسبابِ هذا الوَباءِ، وكيف أنَّه يَنطلِقُ مِن قراءاتٍ مَغلوطةٍ للكُتُبِ المُقدَّسَةِ، ومِن سِياساتٍ عالميَّةٍ عَمياءَ تَدْعَمُه، ومِن أموالٍ هائلةٍ -محليَّةٍ ودوليَّةٍ- لا يُنفَقُ عُشْرُ مِعشارِها لمُحارَبةِ الفَقْرِ والجَهلِ والمَرَضِ والتخلُّفِ في بُلدانِ العالَمِ الثالثِ.

أيُّهَا الحُكَمَاء الغَربِيُّون: لقد جئناكُم بآمالٍ عريضةٍ، وبثِقةٍ لا حُدودَ لها، في هِمَّتِكم وإخلاصِكم، وتَصميمِكم على السِّباحةِ ضِدَّ تيارٍ عنيفٍ يَحرِصُ أصحابُه على أن يَظَلَّ الغَرْبُ غَرْبًا والشَّرْقُ شَرْقًا، وألَّا يَلتقِيا مُنذُ ناحَ «كيبلنج» على أطلالِ الأمَلِ في التقاءِ الشرقِ والغربِ.

فهل تَشاءُ الأقدارُ أن يُغرِّدَ طائرُ السَّلامِ بينَ الشرقِ والغربِ لِيتلاقَيا مِن جديدٍ في «فلورنسا» التي تُطِلُّ على بحرٍ مُتوسِّطيٍّ تتلاقى على ضِفافِه شُعوبُ الشَّرقِ والغَرْبِ؟!

وهل آنَ لحِكمةِ الحُكَمَاء أن تُغرِّدَ اليومَ في الشرقِ والغربِ، وتتغنَّى بسَلامٍ يَسُودُ عالَمًا أنهكَتْه الحروبُ والنِّزاعاتُ، أملًا في إسعادِ البشريَّةِ، وإنقاذِ الإنسانيَّةِ مِن دَمارٍ قد يَلُوحُ شُؤْمُه في الأُفُقِ البعيدِ إلَّا أنَّ حِكْمَةَ الحُكَمَاء وإخلاصَ المُخلِصينَ كفيلةٌ بدَحْرِه إلى الأبدِ؟!

* * *